IUGJEPS
Vol 28, No 4, 2020, pp 01 -20

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2019-10-16)، تاريخ قبول النشر (2019-11-19)

التناص في رواية الزمرة للروائي الأسير عمار الزبن

اسم الباحث الأول: د.خضر محمد أبو جحجوح [1] *

اسم الباحث الثاني : جودت يوسف حميد [2]

[1] اسم الجامعة والبلد (للأول) قسم اللغة العربية- كلية الآداب- الجامعة

[2] اسم الجامعة والبلد (للثاني) طالب دراسات عليا

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: kjahjouh@iugaza.edu.ps

الملخص:

يهدف البحث إلى مقاربة تجليات التناص في رواية الزمرة بوصفها عملا إبداعيا من صنع أسير حكم عليه بعدد من المؤبدات في السجون الصهيونية، هذا التناص الذي يكشف عن قدرة الكاتب على استكناه واقعه وربطه بالمعطيات الثقافية التي اختزنها في ذاكرته من خلال تجربة الأسر، حيث حفلت الرواية بأصناف كبير من التعالقات النصية المتنوعة التي تنم عن ثقافة واسعة للراوي عمار الزبن.

كما يقدم البحث دراسة نظرية للتناص مع مقاربة نقدية تحليلية للتناص في رواية (الزمرة) وفق منهجية التحليل الأسلوبي التي تستكنه معطى الدال والمدلول في سياق السرد الروائي.

كلمات مفتاحية: عمار الزبن، الزمرة، رواية، التناص، الوصفي، التحليلي.

Intertextuality in Al-Zomra's novel " by Ammar Al-Zabien

Abstract:

This study aims at critically analyse intertextually manifistations cited within novel (the Zomra) because it exhibits a creative work accomplished by a Palestinian jailed for several life sentences in Israeli prisons..

This contradiction reveals the writer's ability to master his reality and relate it to the cultural data he stored in his memory through the experience of families. A large variety of textual interactions that reflect the broad culture of the narrator Ammar Zabin.

The study also offers a theoretical study of intertextuality with a critical analytical approach to intertextuality in the novel (group) according to the methodological analysis methodology, which is based on the signifier and the significance in the context of narrative.

Keywords: Ammar Al-Zaben, Al-Zomra, Novel, Intertextuality, Descriptive, Analytical.

تقديم:

لم يستسلم الأسرى في سجون الاحتلال للوهن واليأس؛ بل وظفوا طاقاتهم فيما يعزز صمودهم ومنح الأمل لأبناء شعبهم خارج السجون، والأدباء – من بينهم– كرسوا طاقاتهم الكتابية في اقتناص اللحظة، لتصوير همومهم وحكايات البطولة والاستشهاد، وصب قناعاتهم في أشكال أدبية متنوعة، ومن بين هؤلاء برز عمار الزبن واحدا من نماذج الروائيين الأسرى الذين كرسوا طاقتهم لتحويل الرؤى والأفكار الواقعية التي يعيشونها، أو يسمعون بها إلى أعمال روائية ذات بعد تسجيلي لمجريات الأحداث خارج السجن وداخله، وقد وظف القاص في روايته الموسومة بالزمرة خبرته الثقافية لتكثيف دلالات السرد بالمختزنات النصية المشحونة بمعاني ودلالات ثرية؛ لذلك برز التناص في الرواية أداة فعالة وحيوية أفاد منها في تقديم مشهده القصصي ومتنه الحكائي.

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاستكناه تجليات التناص بأنماطه وأشكاله المختلفة.

أهمية البحث:

- تتجلى أهمية البحث في إبراز تجليات التناص في نموذج من نماذج أدب السجون.
- تكشف الرواية عن قدرة الأسرى الفلسطينيين على توظيف التقانات الفنية المعاصرة.
- كما تتجلى الأهمية من خلال مقاربة نصٍ بكر لم تتناوله أيدي الباحثين من قبل، لإضاءة جوانية النص السردي، وبيان مدى تفاعلاته النصية، ومستوى اتكائه على التناص، الذي يبرز مقدرة الكاتب على صياغة سرديته وإتقانِه توظيفَ التناص في حيّزِ النَّسق الروائيّ.
- وتبرز أهمية البحث في كونِه مقاربة نقدية تطبيقية، تتابع عملا من الأعمال الروائية التسجيلية المعاصرة.

أسئلة الدراسة:

حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما مدى تمكن الأديب الأسير من الإلمام بمجريات الواقع الفلسطيني خارج الأسر؟
- ما مستوى قدرة الأديب الأسير على زيادة مخزونه الثقافي وتوظيفه في نتاجه الروائي؟
- هل تمكن الأديب من توظيف التناص بوصفه صورة للتفاعل بين المختزنات المعرفية؟
- ما أنواع التناص التي وظفها الأديب الأسير في روايته؟
- هل أثرى التناص المتن الحكائي وفتح فضاءه الدلالي؟

حياة المؤلف:

ولد عمار عبد الرحمن الزبن لأسرة بسيطة متواضعة في مدينة نابلس بتاريخ 15-1-1975م ودرس في مدارسها، وتربى في أحضان مسجد عاشور في البلدة القديمة من نابلس، وتعلم فيه الآداب والأخلاق الإسلامية، وبدأ بحفظ القرآن الكريم، وحصل على بكالوريوس العلوم السياسة من جامعة القدس المفتوحة في "أبو ديس"، وهو متزوج وله أربعة من الأبناء بنتان وولدان. جدير بالذكر أنه أنجب ولديه عن طريق عملية تهريب النطف التي بدأها عام 2012 متحديا الاحتلال فرزقه الله تعالى بمولود ذكر سمَّاه مهند([1])، وفي عام 2014 كرر المحاولة مرة أخرى فرزقه الله تعالى بمولوده الذكر الثاني صلاح الدين([2])، علما بأن تهريب

([1]) وبهذا تحول الأسير عمار وطفله الأول مهند عنوانا لمرحلة جديدة وأساسا لبداية انطلاقة نوعية نحو تعميم التجربة والانتقال من الانتصار الفردي إلى الانتصارات الجماعية، وانتزاع حق سلبته إدارة السجون الإسرائيلية" المصدر نفسه ص205

([2]) ينظر، مكتب إعلام الأسرى، قامات شامخة ، الأسير عمار الزبن ، فليم وثائقي عن حياة الأسير عمار الزبن، فيه شهادات صوتية لزوجته وبناته وأخواته. http://asramedia.ps/video.php?id=4686

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

النطف عملٌ قام به الأسرى تحديا لأحكام الاحتلال التعسفية القاسية، بتهريب النطف المنوية وزرعها في أرحام زوجاتهم بعلم الأهل و تفهم المجتمع([3])

اعتُقل عمار مرات عديدة كان آخرها أثناء عودته من الأردن بتاريخ11-1-1998م على المعبر، وأمضى ثلاثة أشهر في التحقيق دون أن تعرف عائلته أي معلومات عنه، وقد أصدر الاحتلال بحقه حكماً بالسجن 27 مؤبدا وخمسة وعشرين عاما ، وذلك بعد اتهامه بالعضوية في مجموعة تابعة لكتائب القسام مسئولة عن تنفيذ سلسلة من العمليات ضد الاحتلال، ومنها عمليتان استشهاديتان عام 1997 في القدس أدت إلى عشرات القتلى والجرحى في صفوف المستوطنين. يذكر أن عائشة الزبن والدة الأسير عمار الزبن كانت قد استُشهدت أثناء إضرابها عن الطعام خلال اعتصامٍ تضامنيٍّ مع الأسرى في عام 2004م، وبذلك يكون عمار قد فقد والديه خلال الاعتقال، وانضم إلى قافلة الأسرى المكلومين([4])،حكم على عمار بقضاء فترة خيالية في سجون الاحتلال الصهيوني بلغت خمسة وعشرين مؤبدا، أي ما يعادل ألفين وخمسمائة سنة، حيث إنَّ الحكم بالمؤبد في دولة الاحتلال يعني قضاء المحكوم الفلسطيني مائة عام وراء القضبان، مضروبة في عدد المؤبدات التي تقضي بها المحكمة الصهيونية، وقد بلغ الحكم في بعض الأحيان حدا لا يتخيله عقل، كالحكم على عمار الزبن، وهنا أحكام تدخل في باب الخيال" إذ لا منطق ولا عقل ممكن أن يستوعب حكم أسير بستة آلاف وسبعمائة عام أو 67 مؤبدا مدى الحياة"( )، إذ إن ذلك الحكم حقبة من الزمن تتجاوز حياة أمم وشعوب تصبح خلالها أمما دارسة بتطاول العهد قد يذكرها التاريخ في صفحات الزمان القديم..

مؤلفاته:

كتب عمار الزبن أربع روايات من داخل سجنه أولها رواية "خلف الخطوط" التي صدرت عن المكتبة الشعبية في نابلس عام 2000م، وتناولت عملية أسر الجندي الإسرائيلي "نخشون فاكسمان" الذي اختطف في الضفة الغربية المحتلة عام 1994 بهدف مبادلته بأسرى فلسطينيين وعرب، وتذكر شقيقته أم عبادة أن رواية (خلف الخطوط)([5]) صودرت عند كتابتها في المرة الأولى، وحين أعاد كتابتها قام السجانون بتمزيقها ومصادرة الأوراق والأقلام، ثم أعاد كتابة الرواية للمرة الثالثة، بصعوبة لأنَّ الأسرى لا يملكون وسائل حديثة لحفظ ما يكتبون، وتمكن خلال أربعة أشهر من إنهاء كتابة الرواية، وإخراجها دفعة واحدة خارج السجن([6]). وقد طبعت دار البشير للثقافة والفنون، الرواية في القاهرة، عام 2015م. "عندما يزهر البرتقال"([7]) الحائزة على جائزة القدس عاصمة الثقافة العربية، والتي صدرت عام 2007 ، وأعادت طبعتها مؤسسة فلسطين للثقافة عام 2012،. ورواية " ثورة عيبال"، و" أنجليكا" وهو اسم فتاة يهودية ساعدت أحد ابطال المقاومة الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى([8]). ورواية الزمرة التي تناولتها الدراسة الحالية.

ملخص الرواية:

رواية الزمرة واقعية تسجيلية تصور أحداثا وقعت مع مجموعة من المجاهدين نصبوا كمينا لقوات الاحتلال في منطقة القرارة شرق خانيونس جنوبي قطاع غزة، خلال معركة العصف المأكول عام 2014، وتستعرض بالتفصيل مجريات الأحداث منذ أن بدأت إرهاصات الحرب وبعد اشتعالها، لترسم صورة المجاهد الفلسطيني الذي يتوازن فيه البعد الإنساني الاجتماعي، مع الواجب الوطني في مواجهة العدوان، ويتجلى البعد الوجداني والعقلي في سلوكه.

([3])، ينظر، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، مصدر سابق، ص27 انظرأيضا المصدر نفسه ص200

([4]) ينظر: مركز الأسرى للدراسات، الثلاثاء, 01 ديسمبر 2009, https://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=9580

([5]) عمار الزبن، دار البشير للثقافة والفنون، الرواية في القاهرة، عام 2015م..

([6]) موقع وكالة وطن للأنباء https://www.wattan.tv/ar/news/130496.html

([7]) عمار الزبن، عندما يزهر البرتقال، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق،ط1، 2012.

([8]) مركز أسرى فلسطين للدراسات https://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=9580

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

وهي رواية تتكون من ثمانية وعشرين فصلا معنونة على النحو التالي: ليس بعد، أن تكون غزيا، رائحة الحرب، حجزها الآمن، في غزة يولد الحب، الاستدعاء للمهمة، تحت سماء تمطر الصواريخ، البيض المقلي بزيت الزيتون، أجمل الأمهات، عيون المتلصصين، تموز والشيطان، مقاومة غزة تصنع خيال الأطفال، مساء الخير تل الربيع، ذاكرة المظلوم، أبابيل في حضرة العشق، الألمان في النفق، برتقال يافا، عاصمة الإرهاب، عالم ظالم وجبان، على حدود الشجاعية، الدجاج المتمّر، لست حمقاء، العدوان البريء، المظليون في مواجهة النخبة، فلسفة العظماء، مشهد النصر، وأخرجت الأرض أسرارها، خاتمة المعركة.

تصور الرواية المعركة البطولية التي خاضها خمسة من مجاهدي النخبة القسامية القسام وهم: (إبراهيم أبو شاويش) ومحمد الملقب (حمكة) وهما أسيران لدى العدو الصهيوني، والشهداء (علاء) قائد الزمرة و (سمارة) و (عماد). حيث تنسج الرواية أحداثا تفصيلية عاشتها الزمرة القسامية خلال تواجدها في أحد الأنفاق أربعة عشر يوماً، باتت خلالها تنتظر جيش العدو، إلى أن وقع جنود العدو في الكمين فكانت المواجهة الدموية وأظهر المجاهدون بسالة وشجاعة أصيب خلالها بعضهم واستشهد آخرون، إلى أن كبدوا جنود العدو خسائر فادحة ما بين قتلى وجرحى وأسرى([9]).

مفهوم التناص (Intertextuality)

من نافلة القول محاولة الوقوف عند الحدود التعريفية للتناص حيث بات مصطلحا متداولا وقف عنده النقاد على المستويين: اللغوي والاصطلاحي،وأشبعوه تعريفا وتفريعا، ولكن لما كان المنطق يقتضي التمهيد قبل الولوج إلى باحة البحث والتحليل ومقاربة النص، ستعرض الدراسة بإيجاز لمفهوم التناص في اللغة والاصطلاح، وتبين أشكال توظيفه في المتن الحكائي للرواية.

التناص لغة:

ينبثق مفهوم التناص على المستوى اللغوي من مادة نصّ كما أوردتها أمهات معاجم اللغة العربية، وهي مادة تتعلق بالرفع والتنضيد المتراكم، فحينما نطالع المعاجم العربية نجد معاني متعددة للنص وهي في مجملها تفيد الرفع والحركة والإظهار.

جاء في لسان العرب "النَّصُّ: رفْعُك الشَّيْءَ. نَصَّ الْحَدِيثَ يَنُصُّه نَصًّا: رفَعَه. وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: مَا رأَيت رَجُلًا أَنَصَّ لِلْحَدِيثِ مِنَ الزُّهْرِي أَي أَرْفَعَ لَهُ وأَسْنَدَ. يُقَالُ: نَصَّ الْحَدِيثَ إِلى فُلَانٍ أَي رفَعَه، وَكَذَلِكَ نصَصْتُه إِليه. ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها: رفَعَتْه. ووُضِعَ عَلَى المِنَصَّةِ أَي عَلَى غَايَةِ الفَضِيحة وَالشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ. والمَنَصَّةُ: مَا تُظْهَرُ عَلَيْهِ العروسُ لتُرَى، وَقَدْ نَصَّها وانتَصَّت هِيَ، والماشِطةُ تَنُصُّ العروسَ فتُقْعِدُها عَلَى المِنَصَّة، وَهِيَ تَنْتَصُّ عَلَيْهَا لتُرَى مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ."([10]) ومن مشتقات نصص أيضا"المناصة: المناقشة يُقَال: ناص غَرِيمه ونصصه كباعده وبعّده وناعمه ونعّمه إِذا استقصى عَلَيْهِ"([11])

التناص (Intertextuality) في الاصطلاح

مصطلح التناص بهذه الصيغة مُعرَّب عن مصطلح (Intertextuality) وليست ثمة علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي إلا من زاوية غير مباشرة، في معاني الإظهار والاستقصاء لما في التناص من اسقصاء نصّي وإظهار دلالي، وتراكم للنصوص بعضها فوق بعض بما تحمله من دلالات جديدة تمتح من النصوص المتعاقبة المتزاوجة، فالتناص كما اصطلح

([9]) ينظر، عمار الزبن، رواية " الزمرة، دائرة الإعلام العسكري، غزة، 2015

([10]) ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار صادر، بيروت، ط6، 1997م، ص97؛ ينظر أيضا: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،ج3، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م، ص 1058، ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، تحقيق، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، ص145م.؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج18، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الكويت، ص.ص178، 179 ملاحظة نظرا لأن الكتاب حقق مجلداته الأربعين، غير واحد، وانفرد كل منهم بتحقيق جزء، اكتفيت بذكر محقق الجزء المستشهد به.

([11]) جار الله الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، ج3، تحقيق، علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، ص 438، ينظر أيضا، الأزهري، تهذيب اللغة، ج12، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1، 2001م، ص83

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

عليه في النقد المعاصر تداخل وتفاعل وتلاحم بين نصوص مختلفة، لتقديم معاني دلالية جديدة تخصب التجربة باتكائها على المختزنان المشحونة في السياقات المختلفة. وهو كما ترى (جوليا كريستيفا) علاقة نصية لسانية لأنَّ النص يعيد توزيع نظام اللسان بالربط بين كلام تواصلي إخباري وأنماط عديدة من الملفوظات السابقة، وإعادة توزيع قابل للتناول عبر المقولات المنطقية، وهو ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى.([12]) كما يعتبر (رولان بارت) أنَّ نص اللذة هو النص الذي ينحدر من الثقافة فلا يحدث قطيعة معها([13]) وعلاقات التناص في الخطاب عند باختين: "نمط استثنائي وخاص من العلاقات الدلالية التي ينبغي أن تتشكل أجزاؤها من تعبيرات برمتها، أو تعبيرات تعد تامة أو تتضمن احتمال كونها تامة"([14])

ما دام المرء كائنا اجتماعيا يتفاعل مع محيط اجتماعي يؤثر في صياغة لغته وخطابه، فإن التَّنَاص يصبحُ تمازجا عضويا بين مجموع السِّياقات التي أسست البنية الفكرية واللحمة الشعورية للأديب المنتج، بما يثري الدلالات ويفتح أمداءها على فسحة التلقي في ذهن القارئ المستقبل.

وبهذا تتنوع الروافد المعرفية، لأنها تنهل من مختزنات متنوعة يمتزج فيها الماضي والحاضر، لصياغة المستقبل، ضمن رؤى عميقة تتشابك فيها الدلالات، مؤسسة على رؤى وتجارب متنوعة، فتتمازج النصوص وتقوى إشعاعاتها، وتنفتح أمداءها على مساحات من التلقي والتأويل شاسعة؛ ويستحيل النص إلى شبكة من العلاقات الدلالية الممزوجة، وعلى قدر قوة الاختزان المكتسب تبرز قدرة الأديب على صياغة نصٍّ ثريٍّ قوي مشحون. وهو يزيد النص السردي عمقا وثراء، وفي الرواية يمكن القول: "إن التناص القويّ الحاد مظهر من أبرز مظاهر الرواية"([15]) لأنه يمنحها قوة في الحبك ويثري فضاءها الدلالي.

التناص بين الظهور والخفاء

تنوعت تقسيمات التناص فقُسِّمَ إلى مباشر وغير مباشر، وداخلي يتجلى في توالد النص وتناسله وإعادة إنتاجه، وخارجي وهو حوار بين نص أونصوص متعددة ([16]) ويمكن أن يسمى التناص الظاهر وهو تناص واضح غير خفي، يتكيء على ما كان يسمى في النقد العربي القديم التضمين والاقتباس، وقد يصل إلى حد السرقة أو التلاصّ، إن لم يكن إثراء وتحويرا وإعادة صياغة، ، وتناص خفي يتكيء على التشرب والامتصاص ويحتاج إلى إنعام النظر والتأمل للوصول إلى شبكة العلاقة بين النصوص وتأثر نص بعينه بها، وستعتمد الدراسة تقسيم التناص إلى ظاهر وخفي.

أولاً: التناص الظاهر

وهو توظيف مجموعة من النصوص والإحالات النصية التي تثري النص المشكّل في صياغة جديدة، بحيث يسهل على المتلقي معرفة النصوص المستنسخة المندغمة والممتزجة لتكوين نص جديد.

وظف القاص في روايته عددا من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، والشعر والأمثال والأقوال المأثورة،. كما أبرز براعة في توظيف التراث واستدعائه، إذ إن التراث ينبوع لا ينضب يصب في نهر الأدب, بما يوفره من تجارب تحمل موروثا معرفيا مختزنا يسهل عملية التفاعل بين المرسل والمستقبل، بالارتكاز على الإيحاءات المختزنة في الموروث.

([12]) ينظر: جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: 2، 1997م، ص21 للمزيد ينظر، سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط1، 1985م، ص215؛

([13]) رولان بارت، لذة النص، ترجمة د منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1992م، ص39

([14]) تزفيتان تودروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1996م، ص122

([15]) تزفيتان تودروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1996م، ص130

([16]) ينظر، محمد عزام، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، 2001م، ص32

كما ظف الكاتب عددا من الشخصيات التاريخية والمعاصرة لربط أحداث الحاضر بالماضي, بما يحمله الماضي وبعض رموز الحاضر من شحنات رامزة، ومن نماذج الاستدعاء.

يقول الكاتب: "وكأنَّ رجالَ غزّةَ يصرّون على تأدية التحية لإرث محمد الفاتح الذي استخدم سلاح الأنفاق الهجومية في إسقاط القسطنطينية التي كانت منطلقاً للحملات الصليبية: وأن غزة سيدي الفاتح، رمالٌ متحركة تبتلع الطارئين عليها، تزحف إليهم، تخرج من تحت مهاجعهم، وتقسم أن باطن الأرض غضبٌ كظاهرها وزحفها لامحالة ماضٍ إلى آخر حبة رملٍ تسكنُ أرضنا السليبة" ([17])

يستدعي شخصية البطل محمد الفاتح رمزا دالا على التصميم والعزيمة، وقوة الإرادة في واستخدام كافة الإمكانات لتحقيق الغاية السامية، وفتح المدينة، تلك الإحالة التاريخية تضفي قوة وتمنح أملا بما تحمله من بشريات النصر والتمكين على أيدي أبناء محمد الفاتح، فوحدة الهدف اقتضت تخليص الأسرى من قبضة السجان، وطرد الغزاة المحتلين عن الأرض المقدسة.

كما استدعى الكاتب شخصيات المقاومة الفلسطينية المعاصرة مثل عماد عقل، وعامر أبو سرحان، وهيثم الجملة، ويحيى عياش؛ لتصوير واقع البطولة التي ارتبطت بتلك الشخصيات، التي زلزلت كيان الاحتلال يقول: "حتى جاء هيثم الجملة الذي رفض أن يموت بسهولة؛ فغرس سكينه في قلب الجندي قبل أن يستشهد، وتبعه عامر أبو سرحان في القدس الذي قتل ثلاثة فأخرس العجز وجفف بعضاً من دموعي، لكن العدو لا يشبع من الدماء كما فعل بنا منذ حطت أقدامه على أرضنا، فقتل العشرات في المسجد الأقصى وهم يصلون، فكان عماد عقل الذي قتل جُنده في شوارع غزة وداسَ على رؤوسهم، وكلام زاد الاحتلال من بطشه، كانت فلسطين تنجب من رحمها الخصب أبناءً بررة يعرفون قيمة الحياة، حتى التقيتُ به!!."([18])

ويستحضر الكاتب المقاومة الفلسطينية في صورة امرأة عجوز تحمل معاني المجد والعطاء في مسيرة طويلة، قد أنجبت من رحمها الأبطال والشهداء فهي التي تتقدم المسير وهي التي توجه الشباب نحو الحلم المنشود حيث يقول: "وبينما العجوز تهم للتحرك للأمام، اقترب منها الشاب الصغير وطبع قبُلة الاحترام والتوقير على يدها، ثم سألها: من أنت يا جدتي فابتسمت وهي تمسح بيدها على رأسه: أنا المقاومة وما اسم ذاك الشاب الذي يشبه ولدك؟ اقتربت من أذُنه هامسة: يحيى عياش"([19])

كما استدعي الكاتب شخصية الناشطة الأمريكية راشيل كوري([20]) التي قدمت للتضامن مع قطاع غزه في فلسطين، عام 2003، وهي صبية في عمر الثالثة والعشرين، قتلتها قوات الاحتلال بوحشية عند محاولتها إيقاف جرافة عسكرية تابعة للقوات الإسرائيلية كانت تقوم بهدم المباني في مدينة رفح، وباستدعائها يؤكد أنَّ البعد الإنساني موجود عند كثير من أبناء الغرب، كما يؤكد غياب العدالة والإنصاف العالمي، ويبرهن على غطرسة الاحتلال وبشاعته.

يقول:"ثم يسألُ الرسميون والأغبياء: لماذا هذه الكراهية تجاهنا؟ فترد عليهم شابةٌ جميلة جاءت من أصلابهم، تحملُ حقيقة الحرية والعدالة والأخوة الإنسانية، قائلة: أنا «راشيل كوري»، سحقتني دبابة صهيونية صُنعت في بلدي المُتحضر أمريكا كان ذنبي الوحيد أني لستُ حمقاء، فلم يشفع لي جواز سفري الأمريكي وأنا أدافع عن شرف أمريكا

([17]) الزبن، رواية الزمرة (ص 41).

([18]) المصدر السابق (ص128).

([19]) الزبن، رواية الزمرة (ص133)

([20]) https://www.bbc.com/arabic/world-47602376

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

وأوروبا الذي لطخته إسرائيل بالعار وهي تقتل الأطفال وتهدم البيوت وتقتلع الأشجار، فاعتلت جسدي الأشقر تخيل حماقة من يحكمون وطني وهم يوقعون على صك موتي"([21]).

كأنَّها كانت تعتقد أن تضحيتها ستبين للرأي العام العالمي واقع المأساة التي يعيشها الفلسطينيون، وتبرز أشكال القمع والتعذيب اليومي الذي تمارسه قوات الاحتلال الإسرائيلية عليهم، فكان نيصبها أن تقتل بنيران جيش الاحتلال، فتصبح شاهدة على بشاعة الاحتلال في حياتها وبعد موتها.

ثانياً: التناص الخفي

يكمن هذا النوع من التناص في المختزنات الشعورية والفكرية التي ترتكز على امتصاص فضاءات كبيرة من النصوص السابقة، التي تتجلى في تجربة الكاتب وتبرز في صياغاته التي تقتضي تساوقا بين المرسل والمستقبل في حيز التلقي.

فالتناص بهذه المنحى الامتصاصي الذي يتشرب فيه المؤلف معاني تتماهى مع معانيه "حوار بين نص ونصوص أخرى متعددة المصادر والمستويات وعمليه استشفاف التناص الخارجي ليست، بالسهلة وخاصه إذا كان النَّصُّ مبيناً بصفه حاذقه لكنها مهما تسترت واختفت فلا تخفى عن القارئ المطلع الذي بإمكانه إعادتها إلى مصادرها"([22])

وهذا النمط من التناص صعبٌ على القارئ البسيط، ويحتاج إلى قارئٍ متمرِّس وذي ثقافة واسعه حتى يستطيع الوصول إلى المصادر التي تناصَّ معها الكاتب، " فإعادة خلق شفرة النص من جديد في مصطلح مدركات القارئ الفنية يمكن أن يضفي على العناصر غير النسقية غلالة نسقية ما، وهذه التحولات من النسقي إلا اللانسقي أو العكس هي التي تجعل لعملية التلقي بعدا فاعلا على النص، وهي التي تطبعه بالحركية والحيوية معا([23]).

ورد في الرواية "يقول لسانُ أحدهم وهو يصعد الحافلة التي أقلَّت قراصنة العصر قبل أن يقرأ عليهم آيات النسف"([24]). وهي وشاية إيحائية ذات دلالة على قوة الانفجار الذي أودى بأرواح المجرمين ومزق أجسادهم، ويظهر التناص الخفي في إشارة الكاتب لآيات النسف، التي وردت في قصيدة الشاعر أحمد مطر حيث جاء في قصيدته الموسومة بـ(قف ورتل آية النسف على رأس الوثن):

لا تهاجر!
اركب الناقة واشحن ألفَ طنْ
قف كما أنت
ورتّل آية النسف
على رأس الوثنْ
إنهم قد جنحوا للسلم
فاجنح للذخائرْ!
ليعود الوطن المنفي منصورًا
إلى أرض الوطنْ !! ([25])

([21]) رواية الزمرة، ص153

([22]) محمد عزام، النص الغائب، ص(32)

([23]) ينظر: نهلة الأحمد، التفاعل النصي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة،ط1، 2000م ص123.

([24]) الزبن، رواية الزمرة ص47.

([25]) أحمد مطر، المجموعة الشعرية، دار العروبة، بيروت، ط1، 2011م، ص50

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

وهو استشفاف خفي يمكن لمحه بالتدبر البسيط لقوله تعالى ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾([26]). والنسف في القصيدة المتناص معها دعوة للثورة والتمرد على الظالمين، بما تحمله الثورة من تدمير بنَّاء ونسف يعيد صياغة الواقع من جديد، وهو في الرواية رمز لأفعال المقاومة التي نفذت عمليات تفجير ونسف لحافلات العدو؛ ردا على ما يرتكبه بحق الآمنين العزَّل في فلسطين.

وفي تلميح آخر يستخدم الكاتب عبارة " عقيدة الضاحية" في قوله: "لم يكن أهل الشجاعية لاجئين بل هم من أهل غزة الأصليين، مواطنون أقحاح لكن استخدام عقيدة الضاحية بحقهم، لم يكن عبثاً وهم خط الدفاع الأول عن المدينة"([27]) في إشارة إلى ممارسات العدو الصهيوني الدموية في الضاحية الجنوبية في لبنان عام 2006م ، حيث شن الجيش الإسرائيلي هجمات تدميرية مستهدفا البنية التحتية والمدن ومواقع مختلفة من لبنان، وهي سياسة تعدّ بمثابة عقيدة لجيش الاحتلال، لتحقيق أكبر حجم من الدمار والتخريب في حروب غير متكافئة؛ لإجبار أعدائه الآمنين على الاستسلام.

ووظف الراوي الرمز بوصفه شكلا من أشكال التناص، ومن نماذجه قوله: "فيستشهد ثمانية مقاتلين في رفح وهم يرابطون تحت الأرض في نفق، وقد أصابهم صاروخ الزبانية"[28] استخدم القاص كلمة (الزبانية) وهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[29] " في إشارة رمزية إلى قسوة الاحتلال وبشاعتهِ بحقّ الشعب الفلسطيني الأعزل المضطهد، والتناص هنا فيه ارتكاز وتحوير لفعل زبانية جهنم، فالزبانية في جهنم تنفذ العدالة الربانية، ولكنَّه بالتحوير أخذ معنى العذاب فقط؛ لتصوير حياة الفلسطيني تحت نار الاحتلال وكأنَّه يعيش في جهنم، وفي موضع آخر جاء فيه "بينما يحوقل سمارة: لا حول ولا قوة إلا بالله، عدونا ينسى جميع خلافاته لحظة الحرب ومواجهة أي عدو خارجي، فتتحد المعارضة مع الحكومة، أما هؤلاء. يقاطعه إبراهيم: هم الرويبضة"[30]

والرويبضة وشاية رمزية على أناس تافهين لا ضمائر لهم يتحكمون في شئون الناس ويصولون في القضايا الكبرى التي لا يؤتمنون عليها، وهم سفلة الناس ممن باعوا دينهم وضمائرهم، وفيها تناص مع الحديث: " إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِنِينَ خَدَّاعَةً يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟، قَالَ: «الْمَرْؤُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ"([31]). وفي موطن آخر يوظف دلالة الأبابيل لتتشابك المعاني وتتداخل فيما يريد أن يبرزه من فعل المقاومة المسلحة حيث يقول: "فقد أعلن إخوانكم عن تسيير طائرات الأبابيل من دون طيار إلى عمق الكيان الغاصب"[32] وهي رمز للويل الذي لحق بأبرهة وجيشه يوم أن أرسل الله عليهم طيراً أبابيل في تناص قرآني مع قوله تعالى " ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل﴾[33]. وقد باتت حجارة السجيل في المفهوم الاجتماعي مقترنة بتأييد الله ونصرته للمضطهدين

([26]) سورة طه آية :97

([27]) الزبن، رواية الزمرة، 141.

([28]) الزبن، رواية الزمرة 10.

([29]) العلق آية 18

([30]) الزبن، رواية الزمرة 76.

([31])أ بو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد البزار (ت: 292هـ) البحر الزخار مسند البزار،ج7، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، كتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط1، 2009م، ص174، ابن حجر، فتح الباري ج13، 84

([32]) الزبن، رواية الزمرة ص99.

([33]) سورة الفيل آية 3، 4.

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

والضعفاء ممن وكلوا أمرهم إليه وهي رمزعلى وقته المطلقة حيث يقول للشيء كن فيكون، وهو سبحانه قادر على تدمير أعتى الجيوش، لذلك يطلق المجاهدين صواريخهم وطائراتهم متوكلين على الله تعالى فالنصر منه وحده.

واستخدم الكاتب بعض المصلحات والكلمات الأجنبية رمزا إيحائيا، يختزن تفاعلات دلالية مثل (هينباعل) حيث جاء تفسيره على لسان الكاتب فقال: "فالمجاهدون فعلوها والعدو لا يدري ماذا يفعل، فبدأ بتدمير كل شيء، مستخدماً عملية (هينباعل) وتقضي بالقضاء على الجندي وآسريه معاً، حتى ولو كلّف ذلك استخدام القوة المُفرطة ضد المدنيين والممتلكات"[34] فيما يبدو اقتبس الاحتلال استراتيجية هنيبعل القرطاجي في استراتيجيات الحرب الخاطفة التي تبيح له تدمير جيش نظامي وهزيمته، كما فعل بجيش الرومان عندما هاجمهم بطرق لا يتوقعونها([35])

يرتكز الاحتلال على عقيدة التدمير وعدم مراعاة حقوق الإنسان، استنادا إلى مبدأ محاصرة العدو وسحقه بكل وسيلة قتالية متاحة دون رحمة، وفي مثل هذه الحالة لا يهم كمية الأرواح التي تزهق والمباني التي تدمر وحجم الخراب الذي يحرق الأخضر واليابس، بروتوكول هانيبال الذي استخدمه جيش الاحتلال في مواجهته مع الفلسطينيين يقضي بفتح النيران بإفراط وشراسة ضد السكان المدنيين في حالة اختطاف أحد الجنود حتى لو أدى ذلك إلى دمار حي بأكمله وسقوط آلاف المدنيين بلا رحمة، وتوظيف الرمز هنا يحتاج إلى إحالة مرجعية للوصول إلى المقصود منه ليعرف المتلقي الفضاء الذي تدور فيه الدلالات المختزنة في الدوال المكونة له.

إحالات التناص

أولا:التناص الديني

يستخدم التناص الدينيّ بخصوصيته الروحية والنفسية؛ لتكثيف الدلالات وشحنها بطاقة كبيرة من أجل توصيلها للقارئ، وترتكز الدلالة حينها على الآيات والأحاديث والموروث الديني المأثور، ومعانيها التي تتناسب وطبيعة النص الأدبيّ.

إنّ توظيف دلالات القرآن الكريم والموروث الديني، يفجر لدى الشاعر طاقات دلالية وإبداعية جديدة، الأمر الذي يعزز لديهم قوة النص ويعطيه الزخم، فالتفاعل مع هذه الكتب المقدسة باقتباس نصوصها يمنح الأديب بناء نصه الجديد، وهذه النوع من التناص ليس مجرد اقتباس للنص القرآني أو لتزيين القصيدة به، فالهدف الأساس هوا استيعاب النص وتطويره.

شكَّل التراث الديني في كلِّ العُصور وعند كلِّ الأمم مصدرا سخياً وينبوعاً لا ينضب من مصادر الإلهام الأدبي ، الذي يستمد منه الشعراء والأدباء نماذج وموضوعات متعددة.

إنَّ التناص مع المرجعيات الإشارية الدينية يستدعي مختزنات ذات دلالة ثرية في وعي المتلقي لأنه يشبع تصورات الإنسان ويزيدها ثراء وعمقا، ويزيد رغبته في الاكتشاف، وينمي مختزناته المعرفية، فإن للوعي الديني انغراسا في الضمير الإنساني حين يتمكن من النفس البشرية، وتغلغلا في شبكة تكوينه النفسي والفكري، "ويمكن القول بأن تلك الرموز الدينية كانت تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة بما قدمت من تصورات لنشأة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوعة"[36].

1- التناص مع آيات القرآن الكريم

ورد التناصّ مع آيات القرآن الكريم في مواطن مختلفة من الرواية ففي السياق تقول زوجة إبراهيم " أنا لست أنانية، ولا أدفع زوجي كي يكون جباناً ولا متخلفاً عن واجبه، لكن إنسانيتي تدفعني إلى الخوف عليه، بل إلى الموت خوفاً عليه، ألم يقل مولانا عز وجل:(كُتبَ عليكم القتالُ وهو كُرهٌ لكم)، أنا أكره أن يفارقني زوجي رغم أنني على علم بأن

([34]) الزبن، رواية الزمرة 174

([35]) ينظر: روبرت غرين، الحرب ثلاث وثلاثون استراتيجية، ترجمة سامر أبوهواش، دار كلمة، أبو ظبي، ط1، 2009م، ص486

([36]) عاطف نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت ط1، 1978م، 35

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

الخير في صد المحتلين عنا وعن أرضنا"([37]) ، جاء التناص هنا مباشرا على سبيل الاقتباس لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾([38]) والتناص يبرز مستوى القناعة والرضى والاطمئنان؛ فالنص يبرز جلياً عاطفة الزوجة تجاه زوجها وخوفها عليه، لكن العقيدة و الانقياد لأمر الله دفعها للتسليم والرضى، لرفع الجبروت الصهيوني عن رقاب الشعب الفلسطيني.

وفي موضع آخر يقول: "بالأمس كان الحَجر في وجه البندقية جنوناً، فانبرى أصحابُ العقل والمنطق لرفض هذا الجنون: إنها تهلكة، ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾"([39])

في تناص قرآني مع قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾([40]) ، أراد الكاتب في هذا التناص أن يظهر المفارقة العجيبة لمن يسخدمون هذه الآية في غير موضعها، فقد نزلت هذه الآية في بعضَ الصحابة الذين أرادوا أن يركنوا إلى ضيعاتهم وتجاراتهم ليصلحوها ويتركوا الجهاد في سبيل الله ، فحذرهم الله من ذلك في هذه الآية, في إشارة للمثبطين الذين يهدون من عزائم القوم و يلون أعناق النصوص بحسب ما تمليه عليه أهواؤهم ونزواتهم، فهو الجبن المُغلّف بدعوى العقل.

وجاء على لسان أمل خطيبة سمارة، الذي ترك محبوبته تصارع الشوق وأحلام اللقاء في مشهد درامي يظهر العجز والضعف وبسط الذل والافتقار لمن بيده ملكوت السماوات والأرض حيث تقول: "إلهي، بسطت إليك ضعفي وليس بيني وبين قدرتك حائل، أنا مريمُ التي لا نبيَّ لها، فلا هززتُ جذعَ نخلةٍ وما تساقطت عليَ الرُطَبُ جنيًا، أقفُ على باب غوثك، أسأل فيك الرحمة على قلبي، فهل لي بحبيبي مرة أخرى"([41])

في تناص قرآني مع قول الله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾([42]) مع انفتاح الدلالة على معاني الخضوع والاستسلام لأمر الله تعالى والتضرع إليه لكشف الغمة ورفع الألم.

وفي تناص قرآني آخر ورد في رواية الزمرة على لسان إبراهيم عن مفسدي العصر الذين يتحكمون برقاب الشعوب يقول " دعهم فإن الله لا يصلح عمل المفسدين، وشعبنا يرى ويسمع، ويكفي أن الله –عز وجل–يرانا"([43]). مع قول الله تعالى: " ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾([44]) وهي إحالة تشيع روح الاطمئنان في النفس، وتبث فيها معاني الثقة والأمل للإصرار على مواصلة الدرب في أعمال الخير لأنَّ أجرها لن يضيع عند الله تعالى.

"ومن له شهية للطعام ونحن لا ندري شيئاً عن إبراهيم منذ أربعة أيام؟! فيتدخل أبو إبراهيم: لن يصيبه إلا ما كتبه الله عليه"([45]).

في إشارة إلى الإيمان الذي يملأ قلب الوالدين يقينا ورضى بقضاء الله وقدره، بأن الجهاد لا يقدم أجلاً ولا يؤخر أجلاً، وأنه لا يقع في أرض الله إلا ما أراد الله مصدقين كلام الملك المتصرف ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ

([37]) الزبن, رواية الزمرة ، ص 3.
([38]) سورة البقرة، آية 216.
([39]) المصدر السابق، ص47.
([40]) سورة البقرة (195)
([41]) الزبن , رواية الزمرة، ص 49.
([42]) سورة مريم آية (25)
([43]) الزبن، رواية الزمرة 76.
([44]) سورة يونس آية (81).
([45]) الزبن، رواية الزمرة 78.

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾([46]) مع بث روح الوعي والإدارك في تجليات المشهد الفلسطيني عند أناس يدركون طبيعة الصراع المرير مع محتل غاصب بشع، وما يصحبه من آلام متوقعة، وكلهم ثقة في أنَّ المرء لن يصيبه إلا ما كتب خالقه العظيم.

وجاء في موضع آخر "صاروخ يستهدف السلم العالمي، يقتل الإنسانية ينسف العدالة، يحرق مواثيق الأمم، ويعلن: أنا ربكم الأعلى"([47])

ويظهر في النص السابق أحد أشكال الاعتداء على الإنسان، بنفس الطريقة التي تسلط بها فرعون على كرامة البشر واستعبدهم وأذلهم حينما ادّعى الألوهية، فهو منطق المتجبرين في الأرض المتسلطين الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، في تناص مع الآية القرآنية على لسان فرعون " ﴿أنا ربكم الأعلى﴾([48])، والإحالة المرجعية تبرهن على أن انكسار من يتحدى قدرة الله تعالى ويتجبر بالفتك والعدوان،تماما كما حل بفرعون يوما. وفي موطن آخر يوظف التناص المباشر الواضح حيث يقول: "لحظة، أنصتوا قليلا قال سمارة هناك أخبار عاجلة في الراديو: العدو يستهدف أربعة أطفال من عائلة بكر لا تتجاوز أعمارهم عشر سنوات عندما كانوا يلهون على شاطئ غزة والصحفيون يلتقطون ذلك بعدساتهم! الجبناء، يستأسدون على الأطفال، لا يجرؤون بالنزول على الأرض–حسبنا الله ونعم الوكيل–"([49])، وفي موضع آخر " فقال عماد: –حسبناَ الله ونعم الوكيل–، الله يعلم أننا ما خرجنا إلا جهاداً في سبيله ودفاعاً عن أهلنا وأرضنا، فلن يُضيّعنا أبداً ولن يذهب تعبُنا هباءً منثورًا اصبرو أيها الأخوة واسألوه أن يرفع عن أهلنا البلاء ويرزقنا الشهادة بعدأن نمرغ أنوف المحتلين بالتراب"([50]) في تناص مع قوله تعالى" ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ([51]) وفي السياق أيضا تناص خفي مع قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾([52]) وتكرار التناص مع آيات القرآن الكريم يؤكد المنطلقات الإيمانية التي تحرك الشباب المجاهدين.

وفي تناص خفي يبين الغاية التي خرجت لأجلها هذه الزمرة المجاهدة يقول: " لقد خرجنا من أجل الله، دفاعاً عن عرضنا وأرضنا وحقٌ على المولى أن يرزقنا إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة"([53]) في تناص مع الآية القرآنية " ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾([54]) وهو دلالة واضحة على عمق التصور الإيماني الذي يحرك حب الجهاد والشهادة في قلوب هذه الثلة من الشباب المجاهدين.

وورد التناص في عنوان الفصل قبل الأخير (وأخرجت الأرض أسرارها)([55]) في بلورة لمفهوم الزلزلة وقوة المواجهة وانطلاق المجاهدين من الأنفاق الأرضية للالتحام مع قوات جيش الاحتلال، في تناص مع قوله تعالى﴿إِذَا زُلْزِلَتِ

([46]) سورة التوبة آية 51.
([47]) عمار الزبن، رواية الزمرة، 80
([48]) سورة النازعات آية 24
([49]) عمار الزبن، رواية الزمرة، ص124
([50]) عمار الزين، رواية الزمرة 168
([51]) سورة آل عمران، آية123
([52]) سورة آل عمران، آية200
([53]) المصدر السابق ص180
([54]) سورة التوبة آية52.
([55]) رواية الزمرة، ص197

الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾([56]) وفي هذا التفاعل النصي ارتكاز على مفهوم التزلزل والانفجار العظيم الذي يحدث يوم القيامة، لتعميق دلالة ما يحدث من عنف الحرب وقوة المواجهة وخروج المقاتلين من باطن الأرض قدرا ينصب على الأعداء، وفي الوقت نفسه تبين بشاعة الهجمات الصاروخية التي تقلب الأرض وتبعثر المباني والأشلاء وتخترق الأعماق مدوية مزلزلة.

وجاء في نهاية الرواية وقد اشتبكت الزمرة مع العدو، على لسان إبراهيم الذي ظل يدافع ويكافح حتى الرمق الأخير: " ومع كل رميةٍ كان ينفذها يُردد قول المولى عز وجل «وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى"([57]) مقتبسا ذلك بما جاء في سورة الأنفال ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾([58]) وفي هذا التناص تنفتح دلالة النص على معاني التوكل والتسليم وتفويض الأمر إليه مع اليقين بأنَّ صواب الفعل الجهادي وسداد الرمي من الله تعالى، وأنه وحده تعالى القادر على تثبيت المؤمنين ونصرهم.

2- التناص مع السنة النبوية

تجلى ذلك في قول ياسر المكلوم الذي أصيب بصاروخ استهدف بيت عائلته وهو عائد لمنزله، فلم يفق من إغمائه إلى في المستشفى وخاله يلاطفه عنه ويصبره في مصابه، فما كان له إلا أن فوض الأمر لخالقه محتسباً مسترجعاً " إنا لله وإنا إليه راجعون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، كان يرددها باكياً تخرج من فؤاده ألماً وشوقاً، ثم يستدرك بسرعة: أبي وإخوتي السبعة؟!"([59]) في تناص مع الأثر النبوي الشريف عندما تعجب عبد الرحمن بن عوف من بكائه: " فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ"([60])

وفي حوار دار بين أم أمل وابنتها وهي تحاول إقناعها بعريس آخر تقدم لخطبتها قبل سمارة " فقاطعتها أمل: أمي الحبيبة، يا أعظم امرأة في العالم، امنحيني بعض الوقت، فلا أزال في مُقتبل العمر، حتامًا سيأتي الذي أريد، فإن الله لن يضيعني."([61]).

تناص مع حكاية هاجر زوج النبي إبراهيم عليه السلام لما أنزلها هي وولدها إسماعيل، بوادٍ غير ذي زرع، وكان معها جراب من تمر، وسقاء من ماء، ومعها ابنها إسماعيل، فتولى وتركهم. فالتفتت إليه هاجر، وهي مولاة، وقالت: لمن تتركنا يا إبراهيم؟ فلم يجبها بشيء. فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا ربنا([62]).

حيث تظهر أسمى معاني التفويض والتسليم، بأن الله لا يضيع عباده الصالحين.

وفي حوار المجاهد عماد مع أمه وهو يقول: " اسمعي يا والدتي قول النبي – صلى الله عليه وسلم "عينان لا تمسها النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"([63]).

([56]) سورة الزلزلة، آية 1، 2

([57]) رواية الزمرة، ص207

([58]) سورة الأنفال آية 17.

([59]) الزبن , رواية الزمرة ص 8.

([60]) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، ج2، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001م، ص 83 رقم الحديث 1303

([61]) الزبن , رواية الزمرة، ص 50 .

([62]) ابن حجر , فتح الباري شرح صحيح البخاري, ج،7، ص 401.

([63]) الزبن , رواية الزمرة، ص58.

وجاء في الرواية في وصف المعركة، وفيها أصوات التكبير تنطلق من حناجر الفئة المجاهدة التي ترى أن كلمة (الله أكبر) يصغر معها كل كبير" ثم يقول بحزم الواثق: بسم الله، الله أكبر"([64]) تناص مع قول النبي ﷺ يوم فتح خيبر "الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين"([65])

ويظهر التناص الديني في الدعاء حين يبدأ الشباب باستمطار الغوث والنصر من الفرد الصمد، " وما أن انتهى المذيع من أخباره وبدأت الأغاني الجهادية، حتى قال الشباب: إن شاء الله، ورفع علاء يديه للدعاء بعد أن أغلقوا الراديو: اللهم إنا عبادك أبناء عبادك ناصيتنا بيدك ماض فينا حكمُك، عدل فينا قُضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك سميّتَ به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا، اللهم ثأراً لأهلنا وعرضنا وأرضنا، مكنا من أكتاف عدونا وانصرنا عليهم وارزقنا الشهادة وأنت راض عنا"([66]) متمثلين دعاء النبي ﷺ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا قَالَ أَحَدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا "([67]) وهو دلالة عميقة على العمق الإيماني الذي يسكن قلوب الشباب المجاهدين، ويؤكد توكلهم على الله تعالى وتسليمهم بقضائه.

ويبرز توظيف المأثور في قوله : "بينما كان إبراهيم الذي وضع الراديو على أذنه يضحك فعاجله سمارة: أضحك الله سِنَكَ وهل أسر الشباب جنديًا؟!"([68])

وهو تناص مع السنة المطهرة، وذلك عندما استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلَّمَ فَدَخَلَ عُمَر ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر:" أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ اللاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ " قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفَظُّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ"([69]) حيث يستدعي القاص معاني الاقتداء بالنبي ﷺفي أقوال المجاهدين وأفعالهم، لتعميق المفاهيم التي يتكئون عليها في مقاومتهم ومجابهتهم أعتى جيش يستخدم الأسلحة المدمرة، وهم لا يبالون بالموت وتنطلق ضحكاتهم وسط ضجيج المعارك التي يخوضونها.

ثانيا: التناص التاريخي

([64]) المصدر السابق، ص207

([65]) ابن بطال, شرح صحيح البخارى، ج5 , ص117

([66]) الزبن، رواية الزمرة، ص66

([67]) أبو بكر بن أبي شيبة، (ت: 235هـ)، مسند ابن أبي شيبة، ج1،تحقيق: عادل بن يوسف العزازي؛ أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م، ص223

([68]) المصدر نفسه، ص71

([69]) أحمد بن حنبل الشيباني (ت:241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج3, تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م، ص 72

في الموروث التاريخي إحالات معرفية تتيح للأديب إثراء نصوصه بمحتوياتها وفضاءاتها الدلالية، للتعبير عن قضاياه وهموم مجتمعه المعاصر، وبمختزناتها المعرفية ومرجعياتها الفكرية والعاطفية يصبح النصُّ أكثرَ ثراء وعمقا، وأكثر حضورا في ذهن المستقبل الذي يندفع إلى استكناه ما فيها من مختزنات وإشارات دلالية.

ولجوء الكاتب إلى التاريخ يختزل التجارب ويشحن النصوص بطاقاتها في عملية استبدالية تتبادل فيها الإحالات بين الماضي والحاضر وتمتزج في بوتقة من التفاعل،تتيح للمتلقي نقاط اتكاء لاستكناه الحيز المعرفي في النصوص الجديدة، من خلال مفاتيح الأنساق المعرفية المختزنة في أغوار الماضي.

وهو إذ يستحضر المواقف التاريخية داخل سياقه، يسعى إلى تقديم مواقف معرفية تتكئ على المختزنات الدلالية التي تشعّ في فضاء النصّ، وتزيده عمقا وانسجاما مع رؤيته التي يقدمها للمتلقين في سياق تتعالق فيه دلالات الماضي مع دلالات الواقع، فتضفي قوَّة وعمقا.

حفلت الرواية على هذا التناص التاريخي فجاء على لسان زوجة إبراهيم "فليس عدلاً أن تموت كل القصص الجميلة في غزة، وليس قدراً أن ينتصر الغزاة علينا، فعلى أعتاب شاطئنا أذللنا الإسكندر المقدوني ستين يوماً وأدميناه في كتفه قبل أن يقتحم المدينة، ولابد من أن يقاوم إيماننا باطلَهم حتى تنتصر الحياةُ ويبقى الحب"([70])

يظهر التناص التاريخي في استحضار شخصية الإسكندر المقدوني وقد استولى على القدس بمساعدة اليهود دون قتال وكان المقدوني قد جعل بلاد الشام ومنها فلسطين، ومصر ، والعراق تتبع إدارياً للإمبراطورية اليونانية مترامية الأطراف، فإن الاسكندر المقدوني كان قد زحف إلى القدس بعد أن استولى على صور ثم غزة التي جرعته الألم والجراح، في إشارة إلى أن غزة عصية على المحتلين.

وفي نموذج ثانٍ يقول الزبن: "ولقد بات واضحاً للعدو الصهيوني، أن أرَق سيده الأمريكي في فيتنام قد انتقل إليه بجدارة بعد أن أصبحت الشعوب المقهورة تتناقل إرثها المقاوم فيما بينها، ومعاول الفلاحين من الفايكينغ تحفر عشرات الكيلومترات حتى تصل إلى القاعدة الجوية للمحتل الأمريكي الذي حرق أجساد الأطفال بقنابل النابالم اللعينة، فتفجرها عن بكرة أبيها"([71]).

وظف الكاتب التناص التاريخي حيث يصور الحالة النفسية التي عاشها الجنود الأمركيين الذين زرعوا الدمار والقتل في فيتنام ، هي نفس الهاجس الذي يعيشه الجنود الصهاينة مع المقاتل الغزيّ العنيد الذي أقسم أن يثار لدماء شعبه وأمته، كما فعل جنود هوتشي منه والجنرال جياب الذين هزموا قوات الاحتلال الفرنسي، ومن بعده الاحتلال الأمريكي وكبدوهم خسائر فادحة ثم اضطروهم للرحيل عن بلادهم يجرون أذيال الهزيمة.

واستخدم الكاتب التناص التاريخي في كلمة القائد المهزوم لجنوده: " فلا يزال اللاجئون ينتظرون تنفيذ وعد قادتهم بتمكينهم من العودة تحت قوة السلاح، ترنُ في آذانهم أسوأ عبارة في الكون: «ماكو أوامر، ماكو أوامر"([72]) وتعني عدم الانصياع للأوامر، وهي مقولة تاريخية ترددت على لسان أحد قادة الجيوش العربية التي انتظمت تحت لواء جيش الإنقاذ، وهي تعبر عن واقع التخاذل الرسمي واستهزاء بالأوامر المعطلة التي لم تمنح للجنود، إضافة إلى تشتت القرار وعدم الالتزام بقرار موحد، ما تسبب في هزيمة الجيوش العربية في غضون أشهر معدودة.

([70]) الزبن، رواية الزمرة، ص 3.

([71]) المصدر السابق، ص41

([72]) المصدر نفسه، ص43

إن ذلك المقاتل الفلسطيني، خاض حروبا طاحنة ضد أعتى جيش يستخدم المحرمات الدولية من الأسلحة الفتاكة بحق الآمنين ، ولا تنسجم عبارة الوهن والاستسلام "ماكو أوامر" مع عقيدتهم القتالية التي تدفعهم إلى حب الموت والاستبسال في الدفاع عن الوطن والأهل.

ثالثا: التناص الأدبي

يأتي التناص مع التراث الأدبي المتمثل في الشعر والأمثال والحكم العربية القديمة معززاً ومكثفاً لدلالات المعاني والكلمات.

فالأدب هو تراكم تجارب وعصارة أفكار ومشاعر, يلخِّص مشاعر البشر تجاه القضايا التي تلمّ بهم وتؤثر فيهم، ويصل التجارب على امتداد صيرورة الحياة الإنسانية وتحولاتها من الماضي إلى الحاضر والمستقبل، هو بوح المبدعين، وخلاصة تجاربهم، إنه متنفس الأدباء ومتنفس المتلقين الذين يتذوقون أنسام التشكيلات الأدبية على اختلاف أصنافها، ومختلف تنويعاتها، والأديب الذي يوظف نتاج المختزنات المحشونة في النصوص الأدبية، يمكنه أن يكثف مقاصده ويقدمها في أشكال قوية تتعالق فيها نصوصه بنصوص أخرى ذات ألفة وحيوية بما تختزنه من كمية التجارب المضمنة فيها. استخدم الزبن التناص الأدبي في موضعين اثنين في روايته:

الموضع الأول للشاعر العراقي مظفر النواب، فقد جاء في الرواية " أما ولده الذي جاء قبل النكبة بشهريْن فيردد ما قاله الشاعر: ولستُ أبزيٌ إلا الذي يحملُ البندقية كتِفاً ويطوي عليها شغافاً"([73])

ماذا سَيسقُطُ مِن طبقاتٍ
تُسمي احتلالَ البلادِ ضِيافة
ولستُ قتيلَ نظامٍ يُكَشّفُ عن عورتيهِ فقط
بل قَتيلُ الجميعِ
ولستُ أُبرِئُ إلّا الذي يحملُ البندُقِيةَ قلباً
ويَطوي عليها شِغافَه([74])

في إشارة إلى أن رجال غزة صدقوا في حمل البندقية، فنما حب الجهاد في شغاف قلوبهم، فباتت أفعالهم تؤكد انطلاقهم دفاعا عن كرامة الأمة، وحب القتال ينمو لحظة فلحظة في شغافهم بالصدق والعزيمة.

الموضع الثاني جاء في الرواية " ترفع عجوز من مخيم الدهيشة يديها إلى خالقها بعد أصرّت على أولادها أن يحملوها إلى حيث تريد أن ترى عودتها مع الصاروخ، وتطلب من السماء: يا غارَةَ اللهِ جدّي السيرَ مُسرعةً يا غارَةَ اللهِ"([75]).

في تناص مع الأبيات المتداولة في الموروث الأدبي الصوفي([76]) :

إن أبطأت غارة الأرحام وابتعدت فأقرب الشيء منَّا غارةُ الله
يا غارة الله جدِّي السير مسرعة في حلِّ عقدتنا يا غارة الله

([73]) الزبن، رواية الزمرة، ص44

([74]) مظفر النواب، الأعمال الشعرية الكاملة، دار قنبر، لندن،(د.ت) ص. ص93، 94

([75]) المصدر السابق، ص85.

([76]) أرشيف منتدى الفصيح shamela.ws/browse.php/book

حيث ناسب المشهد دعاء المرأة العجوز أن يصب الله غارته على بني صهيون في إشارة لصواريخ المقاومة وهي تدكُّ حصون العدو، وهو تناص يبرهن على نزعة الإيمان وصدق التوكل لدى أبناء الشعب الفلسطيني الذي يوقن أن النصر من عند الله لا من عند البشر التائهين في أوهامهم يعمهون.

رابعا: التناص مع الموروث الشعبي

"فرد عليه سامرة: لعبتهم مكشوفة، يحاولون الضغط علينا حتى نستجدي وقف إطلاق النار، "حُلم إبليس في الجنة ""[77] وهو أحد الأمثال الشعبية التي تنبئ ببعد المنال والغاية في دلالة أنهم لن يحظوا بوقف إطلاق النار إلا بقرار المقاومة.

وجاء على لسان حَمُكَّة أحد أفراد الزمرة في غفلة من أمره يقول لإخوانه "لحظة يا جماعة، أنا كما يقولون «مثل الأطرش في الزفة"([78]) وهو مثل شعبي يطلق على تواجد المرء في مكان لا يفهم مما يدور حوله شيئا، فلا يتمكن بأن يشارك برأيه، لذلك يحاول استدراك الأمر وطلب المعرفة.

"لقد وقعَ الفأس بالرأس"([79]) وهو مثل يشبه قولهم (سبق السيف العذل) في إشارة إلى أن العدو الصهيوني قد تورط في دخوله قطاع غزة، وعليه أن يدفع الثمن قبل أن يتمكن جنوده من وقف المعركة والانسحاب.

خامسا: التناص مع أقوال معاصرة

وظف الكاتب بعض الأقوال المعاصرة لمنح المتن قوة دلالية تمتح من المخزون في تلك الأقوال، لما لأصحابها من تأثير في النفوس نظرا لمواقفهم ومسيرة حياتهم، ومن ذلك: "رد سمارة: نحسد الطيور على ذلك، فنحن نتمنى حماماً ليس بالضرورة ساخنًا فعلق علاء: الثائرُ يُعرَفُ من رائحته النتنة"[80] وهو قول هوتشي مِنّه زعيم الثوار الفيتناميين مشحون بالعمل الثوري الذي يتناسب مع أجواء المعركة وصيرورة أحداثها، والبعض ينسب المقولة إلى تشي جيفارا، فالثائر ليس لديه وقت يضيعه في غير مقارعة العدو ، وحركته المستمرة وتنقله بين الخنادق والدخان ممزوجة مع رائحة عرقه تؤكد أنه مقاتل قويٌّ عنيد.

ومن الأقوال المعاصرة التي جاءت في الرواية قول " سمارة متفاعِلاً مع سيرة الشهداء: لا أزال أذكر، رغم صغر سنِّي آنذاك، كلمات المفكر العظيم، عبد الوهاب المسيري([81])، –رحمه الله –على قناة الجزيرة عندما شاهد الصاروخ المحلي الصنع، ينطلق من أرض غزة: اليوم يجب أن يحتفلَ العالمُ العربيُّ بهذا الإنجاز"([82]).

وجاء في الرواية "يلتهمون أرضنا ويزرعونها بالمستوطنات، يغتالون أعمار أبنائنا في الأسر، يحاصروننا من كل جانب، يريدوننا عبيداً لهم وقد خلقنا الله أحرار" في تناص مع قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عندما التفت إلى عمرو بن العاص ﷺ قائلا: – " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار"([83]).

([77]) الزبن، رواية الزمرة، ص81

[78] المصدر السابق، ص186.

([79]) المصدر السابق، ص99.

([80]) الزبن، رواية الزمرة، ص96

([81]) عبد الوهاب المسيري، (1939م– :2008م) مفكر وعالم اجتماع مصري مسلم، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.

([82]) المصدر السابق، ص101. ينظر رأي د عبد الوهاب المسيري في إنجازات رجال المقاومة في لقائه مع أحمد منصور في برنامج بلا حدود عبر الجزئرة، بتاريخ 2008/6/1، حيث يقول: هذه إحدى إنجازات المقاومة التي لا ننوه بها بما فيه الكفاية، إن المقاومة أرسلت رسالة مسلحة للمستوطنين الصهاينة أنه لا علاج، أنه نحن هنا نحن باقون نحن نقاوم وكلما ازداد البطش ازدادت المقاومة"

([83]) ينظر، عبد الشافى محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م، ص410، أكرم بن ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، مكتبة العبيكان، الرياض، 2009م، ص 127

وجاء في الرواية وصف المقاومة بالحكمة والصبر في التعامل مع أسرى العدو على لسان إبراهيم أحد أفراد الزمرة : أناة القطاة ووثبة الأسد([84]). وهو قول مأثور عن عمرو بن العاصﷺ في وصف خالد بن الوليدﷺ ([85])، لقد كان كثيرا ما يطبق هذا في حروبه التي خاضها. فهو سريع وجرئ دون تهور، يحسن الخطة كما يحسن القتال.

وفي موضع آخر يقول: " لذلك ينبغي أن نحمد الله ونبتسم، وصدق من قال: اطلب الموت توهب لك الحياة، فإن لقينا الله شهداء، كانت الحياة الكريمة من نصيب أهلنا وشعبنا، وإن كان النصر، فحياة عزة وكرامة"([86]) وهي مقولة اشتهرت على الأسلنة وتنسب لأبي بكر الصديق ﷺ، والبعد الإيحائي فيها مناسب لطبيعة ما يقوم به المقاتلون الذين يتسابقون نحو الشهادة.

وجاء على لسان سمارة " الله أكبر لا نامت أعين الجبناء" حيث وقع التناص هنا مع مقولة سيف الله المسلول خالد بن الوليد ﷺ المشهورة" " لَقَدْ حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضربة سيف، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ."([87]) وفيها وشاية تفاعلية مع شجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه ﷺ بوصفه قائدا بطلا محكنكا شجاعا لم يهزم في معركة رغم جراحاته التي أصيب بها في معاركه التي خاضها، والمقولة تفتح فضاء المتن الحكائي على معنى بذل النفس دون خوف من الموت فإنه لا يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له.

وينقل قولاً عبارة متداولة بصيغة كما قيل:" للقوي نُقطةُ ضعف وللضعيف نقطةُ قوة، فإذا اجتمعت نقطة ضعف القوي مع نقطة قوة الضعيف، كانت الغلبة للضعيف"([88]). وهي عبارة فلسفية يتناقلها الدعاة والمنظرون لزرع الأمل في نفوس المقاتلين.

وذكر الكاتب خطاباً للمتحدث الإعلامي لكتائب القسام ليزيد حبك الرواية مع الصراع المتصاعد عبر الأحداث، إذ إنَّ الرواية تسجيلية، فكان لابد للراوي أن يستشهد بأحداث ووقائع جرت في زمن الحدث، يقول فيها: " أبو عبيدة: لكن الذي لم يعلن عنه العدو فقدان أحد جنوده في العملية ويدعى شاؤول أرون صاحب الرقم (6092065)، وأنه أسير لدى كتائب القسَّام" هذا الاستشهاد يعمق وتيرة الأحداث وتفاعلاتها بتصوير انعكاسات فعل المقاومة على أرض الواقع.

واستشهد بمقولة لقائد الجيش الصهيوني بيني غينتس([89]): نحن نواجه رجالا شجعان، يتقدم أحدهم نحو الدبابة دون خوف ... من الشجاعة أن نعترف بحقيقة عدونا حتى نستطيع محاربته، وأنا لا أتراجع عن حديثي فعدونا شجاع([90]) وهي مقولة تبرز قوة شكيمة المقاتل الفلسطيني وذكائه وشجاعته التي أجبرت قائد جيش العدو على الاعتراف بقوته، لتبرير بعض الخسائر الصهيونية أمام الرأي العام الداخلي لديهم.

وفي تصريح لأحد قيادات العدو الصهيوني واصفاً المقاومة بالصبر والثبات، وأنها عصية على الاستسلام والخنوع.

([84]) الزمرة، ص168.

([85]) ينظر: عباس محمود العقاد،عبقرية خالد، نهضة مصر، القاهرة، ط8، 2005م، ص101

([86]) الزبن, رواية الزمرة، ص181

([87]) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ ، البداية والنهاية، ج7، دار الفكر، 1986، ، ص114

([88]) الزبن, رواية الزمرة ص169

([89]) تولى منصب قائد أركان الجيش الصهيوني عام 2011، وقد شن على غزة عام 2014 حربا بشعة سماها الجرف الصاعد ،، ينظر https://www.bbc.com/arabic/middleeast-47070796 يشار إلى أن المقاومة سمتها العصف المأكول. والبنيان المرصوص، وقد شن جيش الاحتلال قبلها حربا قصيرة مدمرة عام 2012 سماها عامود السحاب، وسمتها المقاومة حجارة السجيل.

([90]) الزبن، رواية الزمرة،، ص16

يقول في الرواية "علاء: المجرم (آفي دختر)([91])، ماذا قال هذا المأفون؟ سأله الصحفي: متى ستركع حماس؟! فأجاب حماس لا تركع إلا في الصلاة"([92]) وهي مقولة لقائد جهاز الاستخبارت تنسجم مع تصريح قائد الجيش لتؤكد قوة العزيمة والإصرار التي يتمتع بها أهل غزة، ولكن لا يخفى أن مثل هذه التصريحات أيضا قد تكون خداعا للرأي العام؛ لتبرير استخدام القوة المفرطة التي استخدمها الجيش بحق الآمنين والعزل في قطاع غزة.

استخدم الكاتب بعض الشِّعارات والهتافات الجماهيرية في محاولة لتقديم صورة واقعية للمتلقي، تبرز الأحداث التي يعيشها الإنسان الفلسطيني المنتفض تعبيراً عن نقمته على المحتل المغتصب أرضه، وتبرز شدة ثورة وغضبه، وتوقه للنيل من العدو الغاشم الذي يذيق الشعب ويلات الموت والدمار، ومن هذه الشعارات " ياقسام يا حبيب اقصف اقصف تل أبيب"([93]) الهتاف السابق حالة اجتماعية، تنم عن مشهد الحالة النفسية التي يطمح معها الشعب الفلسطيني إلى تحرير أرضه ورفع الظلم والعدوان عن مقدراته، وكف يد البطش بتوازن الرعب وشدة الغضب.

الخاتمة:

بعد المقاربة التحليلية لرواية الزمرة، ووضع الحدود الإجرائية لمقاربة التناص فيها، توصَّلَتْ الدِّرَاسَة إلى أنَّ المؤلّفَ أفادَ من إمكاناتِ التناص وطاقاته التفاعلية، التي تثري فضاءات المتن الحكائي بمخزون معرفي تتعانق فيه دلالات النصوص، وتنتفح على فضاءات متينة متنوعة عند عملية التلقي، وبتوظيف التناص بأشكاله المختلفة برزت جوانب ثرية من ثقافة الكاتب الذي يقبع في سجون الاحتلال.

تمكَّن القاصّ الأسير من التفاعل مع قضايا شعبه وتصويرها تصويرا دقيقا بما اختزنه من معارف حصل عليه بالسماع من الذين عاشوا المرحلة وصوروها له بدقة.

لم يأل القاص جهدا في سبيل زيادة مخزونه المعرفي والثقافي، كما تجلى في توظيفه التناصُّ بأشكالِهِ المتعددة.

ورد التناصُّ بمستوييه الظاهر والخفي في مكونات المتن الحكائي، حيث تتوالد النصوص وتعيد إنتاج الدلالة في مستويين: ظاهري يسهل على المتلقي معرفة أبعاده، وخفي تتكون دلالته بتشرب دلالات نصوص مختلفة تعيد إنتاج نصوصا يحتاج نعها المتلقي إلى دقة في الملاحظة والغوص، للوصول إلى ما فيها من تفاعلات وتشابكات نصية.

وظف الكاتب التناص الديني مع آيات القرآن الكريم، ونصوص الحديث النَّبوي الشريف ليعمق دلالة المشهد السردي عند تصوير مجريات بعض الأحداث خصوصا والرواية تتناول أحداثا نضالية لمجموعة من المجاهدين تلتزم بالمنهج الإسلامي.

أفاد الكاتب من المنعكسات التعالقية لبعض أحداث التاريخ بما تختزنه من دلالات تتساوق مع المعطى الدلالي للمتن الحكائي.

كذلك أفاد من النصوص الأدبية بما فيها من منعكسات شرطية ترتبط بمواقف تزيد المتن الحكائي ثراء وحضورا في ذهن المتلقي.

تناصَّ المتن الحكائي مع الموروث الشعبي بما يختزنه من ذكريات للمخزون المعرفي الاجتماعي الذي يقوي الحكاية ويقرب دائرة التلقي إلى ذهن المتلقي، ويجعله أكثر تفاعلا مع المتن الحكائي.

كذلك لم يغفل الراوي نصوصا متداولة في وسائل الإعلام المعاصرة لإثراء نصه الروائي.

([91]) رئيس جهاز الشاباك، ووزير الأمن الإسرائيلي سابقا. أشرف على عمليات اغتيال وتصفية لعدد من المجاهدين

([92]) رواية الزمرة، ص71

([93]) المصدر السابق، ص133

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ بـو بكـر أحمـد بـن عمـرو بـن عبـد الخـالق بـن خـلاد البـزار (ت: 292هـ) البحـر الزخـار مسـند البـزار،ج7، تحقيـق: محفوظ الرحمن زين الله، كتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2009م

ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخارى ، مكتبة الرشد– السعودية, الرياض 2003م

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة –بيروت، 1379.

ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، تحقيق، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م

ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط6، ، 1999م.

أبـو بكـر بـن أبـي شـيبة، (ت: 235هـ)، تحقيـق: مسـند ابـن أبـي شـيبة، ج1، عـادل بـن يوسـف العـزازي؛ أحمـد بـن فريـد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.

ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار صادر، بيروت، ط6، 1997م

أبـو الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثيـر القرشـي البصـري ثـم الدمشـقي (ت: 774هـ، البدايـة والنهايـة، ج7، دار الفكـر، دمشق، 1986م.

أحمـد بـن حنبـل الشـيباني (ت:241ه)، مسـند الإمـام أحمـد بـن حنبـل، ج3, تحقيـق شـعيب الأرنـاؤوط وآخـرون، مؤسسـة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م

أحمد مطر، المجموعة الشعرية، دار العروبة، بيروت، ط1، 2011.

الأزهري، تهذيب اللغة، ج12، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1، 2001م.

أكـرم بـن ضـياء العمـري، عصـر الخلافـة الراشـدة محاولـة لنقـد الروايـة التاريخيـة وفـق مـنهج المحـدثين، مكتبـة العبيكان،الرياض، 2009م.

تزفيتـان تـودروف، ميخائيـل بـاختين المبـدأ الحـواري، ترجمـة فخـري صـالح، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشـر، بيـروت، ط2، 1996م

جـار الله الزمخشـري، الفـائق فـي غريـب الحـديث والأثـر، ج3، تحقيـق، علـي محمـد البجـاوي –محمـد أبـو الفضـل إبـراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2.

جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: 2، 1997م

الجـوهري، الصـحاح تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة،ج3 تحقيـق، أحمـد عبـد الغفـور عطـار، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ط4، 1987م

رأفـت خليـل حمدونـة، الجوانـب الإبداعيـة فـي تـاريخ الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة فـي الفتـرة مـا بـين 1985 إلـى 2015م وزارة الإعلام، غزة، ط1، 2018م

روبرت غرين، الحرب ثلاث وثلاثون استراتيجية، ترجمة سامر أبوهواش، دار كلمة، أبو ظبي، ط1، 2009م

رولان بارت، لذة النص، ترجمة د منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1992م

الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج18، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الكويت (د.ت)

عاطف نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت ط1، 1978م

عباس محمود العقاد،عبقرية خالد، نهضة مصر، القاهرة، ط8، 2005م

عبد الشافى محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ط1 (طرابلس، الشركة العامة للنشر والتوزيع، 1978

عمار الزبن، دار البشير للثقافة والفنون، الرواية في القاهرة، عام 2015م.

عمار الزبن، عندما يزهر البرتقال، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ط1، 2012.

محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري(ت: 256هـ)، ج2، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001م.

محمد بن محمد عبد الرزاق الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرون، الكويت، 1979م.

محمد عزام : النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي , دمشق , اتحاد الكتاب العرب 2001م.

نهلة الأحمد، التفاعل النصي التناصية النظرية والمنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ط1، 2000م

https://www.bbc.com/arabic/world-47602376
https://www.bbc.com/arabic/middleeast-47070796
https://www.wattan.tv/ar/news/130496.html
https://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=9580
http://asramedia.ps/video.php?id=4686